رأي القدس

# لهذه الاسباب لم يحتفل العراقيون

■ تباينت ردود الفعل العراقية تجاه قرار المحكمة باعدام الرئيس صدام حسين «شنقا» حتى الموت الذي صدر امس الاول، فبينما ايد القرار بعض العراقيين، خاصة من الاكراد والشيعة العرب، عارضه البعض الآخر في اوساط العرب السنة والقوميين والبعثيين والاسلاميين، ولكن اللافت ان شوارع معظم المدن العراقية لم تزدحم بآلاف المتظاهرين المحتفلين بهذا الحدث، مثلما توقع الكثيرون في اوساط حكومة المنطقة الخضراء في بغداد.

محطات التلفزة سعت جاهدة لتقديم لقطات للمحتفلين بحكم الاعدام، وكانت الاعداد التي انحصرت في بضع مئات مخيبة لآمال الرئيس جورج بوش وحليفه توني بلير رئيس وزراء بريطانيا اللذين تسرعا في اعلان هذا الحكم للتأثير بشكل ايجابي على نتائج الانتخابات التشريعية الامريكية لصالح الحزب الجمهوري. ومن المفارقة ان مظاهرات المنددين بالحكم والمؤيدين للرئيس العراقي كانت اكبر بكثير من تلك المطالبة باعدامه.

وربما يجادل البعض بان قلة عدد المحتفلين بالقرار تعود الى حظر التجول الذي فرضته الحكومة العراقية في اربع محافظات عراقية، بينها بغداد والموصل وصلاح الدين، ولكن هناك اربع عشرة محافظة اخرى لم يشملها القرار ولم تشهد مهرجانات الفرح الصاخبة التي بشر بها السيد نوري المالكي رئيس الوزراء عشية انعقاد المحكمة للنطق بالحكم.

التفسير المنطقي لهذا «البرود» يعود الى وجود حالة من الصحوة في اوساط معظم العراقيين، بحيث باتوا «محصنين» تجاه عمليات التضليل الامريكية، وعلى دراية كاملة بسوء اوضاع بلادهم في ظل الاحتلال والحكومة الطائفية المنبثقة عنه.

فالمواطن العراقي البسيط بات يدرك، وبعد ثلاثة اعوام ونصف العام من الاحتلال ومسرحية الانتخابات والاستفتاءات المتكررة، ان بلاده تعيش حالة انهيار كامل في مختلف المجالات. فالحرب الاهلية الطائفية باتت حقيقة واقعة، والامن الشخصي والوطني معدوما بالكامل، والبطالة مستفحلة، والخدمات الصحية والتعليمية غير متوفرة، ولو في حدودها الدنيا.

حكام «العراق الجديد» فشلوا في الايفاء بوعودهم في تحقيق عراق مستقر ومزدهر وموحد، وقدموا بديلا مرعبا على الاصعدة كافة، فالجثث باتت في الشوارع، والمستشفيات طافحة بالقتلى والجرحى، والمواطن العراقي بات مصيره الموت، سواء على يد فرق الموت او الميليشيات الطائفية او العصابات الاجرامية المسلحة، او بفعل الغارات الامريكية المتواصلة.

نظام الرئيس العراقي صدام لم يكن ديمقراطيا، وارتكبت بعض اجهزته الامنية العديد من التجاوزات وانتهاكات حقوق الانسان دون شك، ولكنه حقق الامن للعراقيين، ووفر لهم الوظائف، والخدمات الاساسية من ماء وكهرباء، ووضع العراق على الخارطة الاقليمية والعالمية كقوة كبرى.

العراق في ظل الحكام الجدد، وحسب منظمة الشفافية الدولية، بات أكثر بلدان العالم فسادا، ويتبوأ المرتبة الاولى في الترتيب من بين 195 دولة. فعمليات السرقة ونهب المال العام باتت من الممارسات اليومية المألوفة لمن جاءوا من الخارج مع الدبابات الامريكية.

الشعب العراقي يموت بالرصاص وبسبب الجوع، وهو الذي يسبح على 120 مليار برميل من النفط، بينما عائلات الحكام الجدد موجودة في لندن وباريس وعمان ودمشق والقاهرة ودبي، تستمتع بالامان والعيش الرغد، بل ان معظم هؤلاء الحكام والمسؤولين في وزاراتهم يقضون معظم اوقاتهم في الخارج، وان عادوا الى العراق فليوم او اثنين ويقيمون في المنطقة الخضراء المحمية امريكيا.

لهذه الاسباب لم يحتفل العراقيون بصدور الحكم باعدام الرئيس صدام حسين ورفاقه، مثلما احتفلوا يوم اسقاط تماثيله، وسيطرة القوات الغازية على عاصمتهم، لان الشعب العراقي ادرك حجم الخديعة التي اوقعه فيها هؤلاء القادمون مع الامريكيين وقواتهم، فقد خسر الوطن مثلما خسر وحدته الوطنية، وبات بلا هوية، الا اذا اعتبرنا الطائفية الحاقدة المريضة هي هويته الجديدة.

# مطحنة في العراق وفي فلسطين

**د. محمد صالح المسفر**

■ اعتقد أن اليوم الخامس من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) هذا العام سيسجل في تاريخ القضاء والقانون العراقي بأنه اليوم الأسود وذلك لصدور أحكام ظالمة ضد الرئيس الاسير العراقي صدام حسين وبعض من مساعديه، فالقضاة الذين أصدروا تلك الأحكام ينتمون إلى أقلية حاقدة مرفوضة في كل أماكن تواجدها الجغرافي المجاور للعراق، هذه الأقلية يشهد تاريخها المعاصر بالتبعية لأعداء العراق وناكرة للجميل، هذه الفئة الحاقدة، منحها النظام السياسي العراقي المعتقل حقوقا لم يتمتع بها أقرانهم وبني جلدتهم في دول الجوار وفوق هذا تآمروا عليه مع كل أعداء العراق والأمة العربية.

أما هيئة الادعاء العام ضد قادة النظام الذي فككه الغزاة الأمريكان، فهم أيضا من فئة حاقدة ثأرية تابعة لقوى خارج حدود العراق يوجهها مشروع صفوي مشحون بالحقد والكراهية ضد الشعب العراقي على وجه الخصوص والشعب العربي عامة.إن هذه المحكمة شكلت على أسس طائفية عفنة، المتهمون من أهل السنة والقضاة أكراد والمدعون من الصفويين الحاقدين فأي عدل يا ترى يسود في هذه المحكمة التي أساس تشكيلها باطل لأنها ولدت من رحم قوات الاحتلال غير الشرعي وتربت وترعرعت في أحضان الصهيونية والفئات الحاقدة.

لا غرابة في هذه الأحكام لمعرفتنا انها صدرت بتوجيهات قوى الاحتلال قبل أن تكتمل حلقات مسرحية المحاكمة فلعل تلك الأحكام كما يعتقد المخرجون لتلك المسرحية تعدل الانتخابات التكميلية الجارية في واشنطن لصالح بوش الابن وحزبه. ويقيني أن الشعب الأمريكي أكثر وعيا من حكومته.

إذا كان قد صدر حكم طائفي ضد الرئيس العراقي صدام حسين، فقد صدرت قبله أوامر طائفية حاقدة بطحن وقتل كل علماء وفقهاء وأساتذة الجامعات والأطباء والقيادات العسكرية وكل الكادر الإداري العراقي المدرب أحسن تدريب وما برحت المطحنة تدور لتطحن أجساد كل شرفاء العراق على أيدي الفئة الصفوية الحاقدة الباغية، أستطيع القول ان الشعب العربي في العراق بكل طوائفه وعقائده محكوم عليه بالإعدام من قبل الصفويين الحاقدين، وأستطيع القول إن الرئيس صدام حسين سيسجل اسمه في تاريخ العراق والعرب بأحرف من نور فهو لم يهادن أو يساوم الصهاينة ولم يخضع لابتزاز دولة الاستكبار العالمي انه الزعيم العربي الذي قال لا لكل أعداء امتنا العربية والإسلامية، انه بكل جلاء شهيد المواقف رحمه الله حيا أو ميتا، ولكني أنبه ان جيلا عراقيا عربيا قادما لا محالة سيحمل رايات تحرير العراق من الشعوبيين والصفويين وسيعود وجه العراق العربي ناصعا ومشرفا يشد من أزر أمته ويعينها على عاديات الزمان.

(2)

تلك المطحنة في بغداد تدور بلا عقل ولا حساب، والمطحنة الثانية تدور بسرعة كبير تطحن الإنسان الفلسطيني بعظامه وتدمر ماصنع وما زرع وتهدم ما بنى. هذه المطحنة نسخة من المطحنة الجارية في العراق العزيز، الطحان واحد انه الاحتلال وجنوده في كل من العراق وفلسطين

بالأمس شاهدنا على شاشات التلفزة العالمية نساء فلسطين العفيفات الشريفات المجاهدات يتصدين بأجسادهن لإنقاذ رجال المقاومة وشبانها من جحافل الجيش الصهيوني المدجج بأحدث الأسلحة التي أنتجتها المصانع العسكرية الأمريكية، في الوقت الذي يقف «كهنة» فتح من محدثي النعمة ليدينوا الحكومة الفلسطينية (حماس) لكونها لم تستجب للشرعية الدولية، وقال احدهم «إن الاعتراف بإسرائيل هو الرد على ممارساتها، وعليهم (حماس) أن يتخلصوا من الفكر الرفضوي المنغلق على الذات» ومحدث نعمة فتحاوي آخر يقول «ليس شرفا أن نحصي شهداءنا وأسرانا وإنما على الحكومة (حماس) أن تقدم حلولا لتجنيب الشعب المآسي» وكأن المقاومة ورص الصفوف الفلسطينية لمواجهة قوى الاحتلال ليس من الحلول التي مارستها كل شعوب الأرض لإنقاذ الشعب من جبروت الاحتلال. كنا نتوقع من محمود عباس أن يبادر إلى تحية رجال ونساء فلسطين على مقاومتهم للعدوان الصهيوني على قطاع غزة، وان يرفع الحصار المفروض على حكومته (حماس) من قبل حزبه الفتحاوي وذلك ردا على انضمام الصهيوني المتطرف ليبيرمان الذي يطالب باجتثاث الشعب الفلسطيني من كل فلسطين التاريخية.

كنا نتوقع من محمود عباس وحزبه أن ينزل إلى الشارع وجنده تأييدا للمقاومة الباسلة واحتجاجا على الاجتياح الصهيوني لغزة المجاهدة وان يأمر بصرف مستحقات الموظفين من الأرصدة التي بحوزته من أموال منظمة التحرير الفلسطينية، لكنه مع الأسف الشديد راح يطالب المبعوث الأمريكي السيد وولش بان يطلب من إسرائيل أن تحترم تعهداتها المتعلقة بتزويد أجهزة الأمن والحرس بالسلاح من الأردن ومصر لكي يقوم بوجباته الأمنية.

يا للهول!! يطلب رئيس فلسطين تزويده بالسلاح عبر إسرائيل من القاهرة وعمان طبعا لمواجهة حركة حماس والجهاد ولا يطلب السماع بإدخال الأموال النقدية والعينية للشعب المحاصر من قبل أركان فتح التي طالما تغنينا بأناشيدها ودخلنا المعتقلات تأييدا لها.

آخر القول: المالكي في العراق يأمر بإعدام أحرار العراق ويجعل شرفاء العراق رجالا ونساء سبايا لكل جحافل الشعوبية والطائفية، محمود عباس في فلسطين يشارك في فرض الحصار الظالم على الشعب ويغض الطرف عن أعوانه من قوي الأمن عندما تعبث بأمن الوطن والمواطن تحت ذريعة «بدنا نأكل خبز» ويسكت كليا عن جرائم حلفائه الإسرائيليين ضد الشعب الفلسطيني.

الخلود والمجد لنساء فلسطين الماجدات الصابرات المؤمنات والعار كل العار للمتخاذلين من القيادات الفلسطينية أولا. والمجد والخلود لشعب العراق المقاوم.

# اللوثة البربرية حين تدافع عن الحضارة: نماذج من بريطانيا وإسرائيل

**د. عبدالوهاب الافندي ***

■ خلال الأيام القليلة الماضية أعادت شخصيتان مثيرتان للجدل سجال صراع الحضارات في سياق المواجهة مع الإسلام. أول الرجلين كان السياسي الإسرائيلي المتطرف أفيغدور ليبرمان، الذي مثل ضمه للحكومة الإسرائيلية مرحلة جديدة في مسار انحطاط الدولة العبرية التي بدأت مسيرتها في القاع ثم واصلت الانحدار إلى أسفل. ليبرمان أتحفنا باستعادة مقولة الصراع «الحضاري» القائم بين الغرب والإسلام، والذي تحتل إسرائيل الخط الأمامي فيه باعتبارها خط الدفاع الأول عن الحضارة الغربية ضد البربرية الإسلامية. أما ثاني الرجلين فهو الاسقف الباكستاني الأصل نضير علي الذي بادر أيضاً بإطلاق سلسلة من التصريحات في الصحف والإذاعة خلال الأيام القليلة الماضية، كان آخرها مقابلته مع المحطة الرابعة في راديو البي بي سي أمس الاثنين، معلناً تصديه لما وصفه الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب. وبحسب الأسقف علي، فإن الإيمان بالتعددية الثقافية يضعف بريطانيا أمام خطر التطرف الإسلامي، وأن على بريطانيا، إذا أرادت أن تقاوم الخطر القادم أن تستعيد تراثها المسيحي وتدافع عنه وتتقوى به، وأن تتذكر أن القيم الديمقراطية والليبرالية التي تنعم بها بريطانيا هي مسيحية المصدر والمنبع. وحذر علي من التنازلات التي تقدم للمسلمين والأقليات الأخرى على حساب الأغلبية المسيحية. وحذر أيضاً من الابتعاد عن القيم المسيحية باتجاه العلمانية أو التعددية الثقافية مما يضعف النسيج الأخلاقي لبريطانيا بزعمه.

الملاحظة الأولى عن الرجلين هي أن كليهما يمثل إلى حد ما الهامشي والخارجي في الهوية التي يزعم التصدي للدفاع عنها. ليبرمان مهاجر روسي في إسرائيل، انتماؤه الإسرائيلي طارئ، وانتماؤه إلى الغرب مدعى، لأن الروس (وروسيته أيضاً مقدوح فيها) لا يعتبرون حتى عند صامويل هنتنغتون صاحب مقولة صراع الحضارات من المنتمين للحضارة الغربية، بل هم ينتمون بزعمه إلى حضارة أخرى منافسة، هي الحضارة السلافية. أما الأسقف نضير علي فهو القسيس الوحيد في بريطانيا (إن لم يكن في العالم) الذي له جذور إسلامية، إضافة إلى أصله الآسيوي. فهو مزدوج الهامشية في الساحة البريطانية. إذن نحن أمام ظاهرة فريدة، يواجه فيها الطارئون على الهوية الغربية (أو غير المعترف بهم فيها) الأصلاء في هذه الحضارة بالتقريع لتفريطهم في أصولها، وتهاونهم في التمسك بها. وهذا تطفل مزدوج، لأن المعروف أن تحديد أي هوية وثقافة يتم من داخلها وعبر الحوار بين أهلها. وهذا لا يحرم الطارئين على الثقافة المعنية من المساهمة في تشكيلها، ولكن حين يمنح الطارئ نفسه حق احتكار تعريف الثقافة والحضارة من منطلقات تخصه، وينكر ذلك على الآخرين، فإن هذا يثير أكثر من تساؤل. ذلك أن كثيرا من البريطانيين لم يعودوا يعرفون الحضارة الغربية على أنها مسيحية، وهنالك ما يدعم هذا الموقف في كون ثورة التنوير في الفكر الغربي كانت في جوهرها ثورة ضد الكنيسة والتراث الديني المسيحي.

مهما يكن فإن تولي هذه الشخصيات الهامشية كبر ما يسمونه الدفاع عن الحضارة الغربية ضد البربرية الإسلامية يذكر بتراث غربي آخر، هو التراث العنصري البربري الذي مثلته النازية في أبشع صوره، ولكنه توجه عريق في الحضارة الغربية. ففكرة التفوق العرقي هي فكرة قديمة في التراث الغربي، تعود إلى أيام الإغريق والرومان. وكان من المفترض أن تكون المسيحية خففت منها، ولكن المسيحية لم تلبث أن تلبست هذه العقيدة تحت غشاء ديني رقيق. وهكذا رأينا اضطهاد اليهود والاستئصال العرقي للعرب المسلمين في الاندلس، والإبادة الجماعية أو الاستعباد الجماعي للأجناس الأخرى في الهجمات الاستعمارية على الأمريكتين وأستراليا وافريقيا وآسيا، وكلها جرائم استعلاء عرقي تمت بتبريرات دينية.

ولعل المفارقة فيما يتعلق بالأسقف الآسيوي الأصل واليهودي الروسي الذي يضع نفسه متحدثاً باسم الحضارة الغربية هي أن هذه «الحضارة» إن صحت التسمية، كانت تقف على أرضية هشة دينياً حين مارست اضطهاد السود في جنوب افريقيا والولايات المتحدة، لأن من مورس الاضطهاد في حقهم كانوا مسيحيين. وقد كشف كبير أساقفة يورك اليوغندي الأصل أن هذا الاضطهاد ما يزال قائماً، حيث أن كثيراً من «رعاياه» يرفضون خدماته الدينية بدعوى أنهم لا يريدون أن يتولى رعايتهم الروحية شخص أسود اللون، حتى وإن كان قسيساً، بل لعل بعضهم يضيف، حتى لو كان قديساً! ولا شك أن الأسقف على يواجه نفس المشكلة مع «رعاياه»، خاصة حين يعلن إسمه الإسلامي المنشأ.

إذن من الممكن أن يقال أن البعد الحضاري في الثقافة الغربية يعود أكثر إلى قطيعتها مع ماضيها من ولائها لذلك الماضي. ذلك أن مبالغة النازية في التبجح بالاستعلاء العرقي، والإسراف في العنف والقمع، واجه الغرب لأول مرة بقبح صورة الذات في المرآة. ولعل العامل الحاسم في ذلك كان هو أن النازيين مارسوا في قلب أوروبا ما كان بقية الأوروبيين يمارسونه في مستعمراتهم، فأصبح الفرنسي يعامل في عاصمته باريس كما كان يعامل الجزائري في وهران، والبلجيكي يضطهد كما كان يضطهد الكونغولي في كاتنجا، مما ضاعف حجم الإذلال. ولهذا نما تيار قوي في الثقافة الغربية تبنى المعاداة للعنصرية وكل أنواع التمييز. وقد تقوى هذا التيار برافد آخر، هو الفكر الماركسي، الذي رفض العنصرية من منطلقات أيديولوجية، وأدى التنافس مع التيار الماركسي والأنظمة الشيوعية إلى الضغط على النخب الغربية للتراجع عن المقولات والتصرفات العنصرية. وقد تم هذا تحت مقاومة عنيفة (تجلت في أبشع صورها في استمرار الممارسات العنصرية في جنوب افريقيا والجنوب الأمريكي) وهي مقاومة ما تزال مستمرة. ومن هذا المنطلق فإن إسرائيل تمثل إلى حد كبير آخر حصون هذا التوجه العنصري، أولاً من حيث تمثل نصباً تذكارياً للعنصرية النازية ومركز التجمع الأخير لضحاياها، وثانياً من حيث كونها آخر جيوب الوجود الاستعماري في العالم.

ولعل المفارقة الأكبر أن الإسرائيليين، ممثلين في عراب الفكر الاستشراقي برنارد لويس، هم الذين ابتدعوا فكرة صراع الحضارات لصرف النظر تحديداً عن هذه الحقيقة. فالقول بأن الصراع الدائر حول الأراضي الإسلامية هو صراع حضاري سببه تباين القيم مقصود منه القول بأن الصراع بين الغرب والإسلام أزلي، وليس سببه الممارسات الاستعمارية والتعسف الصهيوني. وهذا بدوره يخفف الضغط عن إسرائيل، ويقلب المعادلة رأساً على عقب. أي بدلاً من الاعتراف بحقيقة أن استمرار اغتصاب أراضي المسلمين وثرواتهم والتعدي على حقوقهم وحرياتهم هي سبب المشكلة بينهم وبين المعتدين عليهم، تتم الإحالة على سبب أسطوري هو التباين الحضاري. وبدلاً من الاعتراف بأن إسرائيل هي مشكلة العرب مع الغرب، يروج للزعم بأن إسرائيل هي خط الدفاع الأول عن الغرب. وفي حقيقة الأمر انه لولا مشكلة إسرائيل لما كان هناك أساساً صراع حتى يكون فيه خط أمامي أوخط خلفي.

ولعل قمة المأساة هنا أن ليبرمان وعلي كليهما يريدان الإحالة على الجانب المظلم في التاريخ الغربي، الذي مثلت الثورة عليه الجانب الإيجابي في الحضارة الغربية المعاصرة. فالأول يريد تطبيق الممارسات النازية أو تجلياتها الصربية، حيث يدعو إلى طرد من بقي من العرب في فلسطين، ويزعم أن هذا هو مقتضى الحضارة! أما علي فهو يدعو ـ كما فعل أيضاً المهاجر تريفور فيليبس الذي تحدثنا عنه من قبل ـ إلى التنكر إلى القيم البريطانية الأصيلة في قبول التعددية الثقافية، حيث فتحت بريطانيا أبوابها للاجئين كثر، بدءاً من اليهود في الحقبة الأولى بعد الإصلاح البروتستانتي، وبعدهم بقليل اللاجئين البروتستانت من فرنسا وبقية أوروبا، ثم موجات من اللاجئين والمهاجرين من غرب وشرق أوروبا، ثم آسيا وافريقيا وجزر الهند الغربية.

ليس هذا فحسب، بل إن كلا الرجلين ينسب إلى الحضارة الغربية ضعفاً وعجزاً حتى وهو يستل سيفه للدفاع عنها دفاعاً لم ينتدبه له أحد. فالخطر المزعوم عند علي هو التطرف الإسلامي، الذي يهدد باستئصال شأفة الحضارة الغربية. وهناك تناقض كبير في مقولات دعاة الشوفينية من المنادين بصراع الحضارات. فمن جهة فإنهم يزعمون بأن الحضارة الغربية هي أم الحضارات وأن ما سواه بربرية. ولكنهم من جهة أخرى يزعمون أن وجود أقلية داخل الأقلية المسلمة في بريطانيا تعتنق الفكر الإسلامي تهدد الحضارة الغربية كلها بالزوال. وبالمثل فإن ليبرمان وغيره من غلاة الصهاينة يتبنون الفكر التوسعي، ويخوفون بقية الإسرائيليين من زوال وشيك للدولة الإسرائيلية يهددها به من يقعون تحت احتلالها! فليفتنا القوم: هل الحضارة الغربية هي حضارة غلابة قاهرة لا يوجد لها منافس حقيقي؟ أم هي كيان هش آيل إلى الزوال تهددها بالانقراض خطب أبي حمزة المصري وفتاوى عمر عبدالرحمن؟

الذي نؤكده هو أن ظهور أمثال ليبرمان وعلي وفيليبس ومقولاتهم ذات التوجه البربري، هو آذان بأن «الحضارة» التي تحتاج إلى مثل بربريتهم للدفاع عن وجودها، هي حضارة تعيش عصر أفول ماثل أو وشيك.

* كاتب وباحث سوداني مقيم في لندن

# العراق : فخ امريكي جديد غطاؤه المفاوضات

**عوني القلمجي ***

■ يبدو ان موضوع المفاوضات بين المقاومة العراقية والمحتل او اطراف منها، أصبح ساخنا هذه الايام، جراء الاشاعات والاخبار المتداولة بين الناس. وكلها تتحدث عن وجود مثل هذه المفاوضات. مرة تتهم حزب البعث العربي الاشتراكي، واخرى الجيش الاسلامي وثالثة مجموعة من فصائل المقاومة، يذكرون عددها دون ذكر اسمائها. وكان اخر هذه الاخبار تلك التي تحدثت عن لقاء مغلق تم في مبنى السفارة العراقية في عمان، بين الامريكيين والجيش الاسلامي في العراق، الذي قيل انه يفاوض باسم اطراف مسلحة اخرى. لكن البعض فسر ذلك، بان ادارة بوش هي من سرب هذه الاشاعات لكسب اصوات الامريكيين، قبيل الانتخابات النصفية للكونغرس التي ستجري بعد يومين. وفعلا تحسن وضع الحزب الجمهوري وكسب اربع نقاط اضافية. ويبدو ان هذه الاطراف فضلت عدم الرد على هذه الاخبار كونها لعبة مكشوفة، وتركت اصحابها يدفنونها بعد انتهاء الغرض منها.

وبصرف النظر عن ما قيل ويقال، فان بعض الرواة يقولون والعهدة عليهم، بان ما جرى من اشاعات كان لها غرض اخر، غير انتخابات الكونغرس، يتم قضاؤه بالكتمان، حول مفاوضات جدية تجري بين الامريكيين واطراف من المقاومة، لوضع ترتيبات لانسحاب القوات الامريكية من العراق بما يحفظ لها ماء الوجه. وعلى الرغم من ان هذه الاخبار لا تستند الى دليل، وان برنامج المقاومة العراقية واضح وجلي، خلاصته: ان لا مفاوضات مع المحتل قبل ان يعلن استعداده للانسحاب دون قيد او شرط، فان الواجب يتطلب منا ان نذكر، بان مبدأ المفاوضات ليس مرفوضا، لكن للمفاوضات قوانين تحكمها واساليب لادارتها وتوفر ظروف ملائمة تخدمها وتوقيتات يجب حسابها بدقة، ومعرفة بقوى الخصم والاهداف التي ينوي تحقيقها، اضافة الى التاكد من مصداقيته، لان دخول اي طرف من اطراف المقاومة او عدد منها في مفاوضات مع المحتل، دون امتلاك هذه المعرفة او الاسلحة، سيؤدي الى نتائج تلحق بالمقاومة اضرارا بالغة.

اول ما يتبادر الى الذهن، هو القوانين العامة التي تحكم اي مفاوضات بين طرفين، ومنها او على رأسها، حساب موازين القوى بينهما، فهي التي تتحكم، ليس بالمفاوضات وحدها، وانما بنتائجها ايضا. صحيح ان التفاوض يدخل ضمن اطار عملية سياسية لها قوانينها وظروفها، لكنه في نفس الوقت يعد جزءا لا يتجزأ من الصراع الدائر بين المقاومة وقوات الاحتلال. ولذلك فان المفاوض من كلا الطرفين يستمد قوته من الجهة التي يمثلها. فالقوي يستطيع ان يحصل على ما يريد، والضعيف يعطي دون مقابل يستحق الذكر. فليس غريبا والحالة هذه ان يلجأ المهزوم او من هو على ابواب الهزيمة، الى طلب المفاوضات، في حين يرفض المنتصر او من هو على ابواب الانتصار، التفاوض قبل ان يتأكد من ان الخصم قد فقد القدرة على الصمود نهائيا، واصبح على استعداد لتلبية كافة الشروط مقابل بعض المكاسب المحدودة التي تحفظ له ماء الوجه. وواقع الحال، ان كل الدلائل تشير الى ان ميزان القوى العسكري والسياسي والقانوني وحتى الاخلاقي والانساني، يميل بشكل واضح الى جانب المقاومة العراقية الباسلة. فامريكا اليوم تعاني اشد حالات الضعف، وتبحث وبكل الوسائل عن حل لانقاذ مشروع الاحتلال من السقوط. ومن ضمن هذه الوسائل اللجوء الى سلاح المفاوضات، باعتباره اهم اسلحة المحتل لتدمير المقاومة، وذلك من خلال اقناع المقاومة بالتخلي عن سلاحها، وادخالها في نفق المفاوضات المظلم. ولنا في تجربة منظمة التحرير الفلسطينية خير دليل على ذلك. والمقصود هنا المفاوضات التي بدأت في اوسلو، وانتهت الى اتفاق خسرت فيه منظمة التحرير كل شيء. حيث تحول الاتفاق على اقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة الكيان الصهيوني، وهو بحد ذاته تنازل كبير واعتراف بدولة «اسرائيل»، الى دويلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم الى حكم ذاتي، ثم الى تنازع السيطرة على معبر رفح.

وضمن هذا السياق فانه من الخطأ القاتل ان تبادر المقاومة وتعلن استعدادها للتفاوض، لان ذلك يعد رسالة خاطئة للعدو، توحي بانها ليست في وضع يسمح لها بالاستمرار في الجهاد، في حين ان النهج الصائب هو عدم تقديم مبادرة للعدو، بل الاستمرار بعمليات انهاكه واجباره على طرق أبواب المقاومة، فلا نقارب عدونا كل المقاربة فنغريه بتوهم ضعفنا. اما المصيبة الكبرى فهي: اذا قررت جهة او طرف من المقاومة، الدخول في مفاوضات منفردة مع المحتل، لان ذلك يشكل خطورة بالغة، كونه يعطي الذريعة والمبرر والتشجيع لآخرين للهرولة باتجاه المحتل كل على انفراد، وهذا يهدد وحدة موقف فصائل الجهاد والمقاومة، ويتيح للعدو القدرة على تمرير دسائسه وخلق أجواء الانقسام في الخندق الوطني المقاوم، مما يعيد الى سياسة الخطوة خطوة التي ابتكرها كيسنجر لتفكيك القضايا الوطنية.

ترى ما هو ميزان القوى المتحقق على الارض ولصالح من يميل هذا الميزان؟

يضع كلاوز فيتز اشهر عسكري الماني في القرن التاسع عشر اربعة شروط لنجاح واستمرار حروب المقاومة الشعبية: الاول ان تدار العمليات من داخل البلاد والثاني ان لا تعتمد الحرب الشعبية على معركة واحدة والثالث ان يمتد مسرح العمليات الى مساحة واسعة والرابع ان تحظى الحرب بمساندة شعبية، وكل هذه الشروط متحققة دون شك او تأويل. وبعد ذلك يرسم كلاوز فيتز شروط العمليات القتالية من قبل المقاومة فيقول : يجب عدم استخدام المسلحين ضد القوّة الرئيسية للعدو، حتى ولا ضد وحدات كبيرة الحجم... يجب عدم محاولة سحق قلب الجيش المعادي في البداية، بل يجب الرمي والتركيز على المؤخرات والمجنبات... يجب احتلال القطاعات التي لم يدخلها العدو بقوات كافية واسترجاع هذه المناطق كلياً من قبضته... يجب أن تستمر هذه السُحُب العاصفة المشكَّلة على أجنحة الجيش ومؤخراته حتى تستنزفه. وعلى هذه الوحدات الصغيرة يجب أن تشعل نار الحرب الشعبيّة لأن الإنتصارات الصغيرة للقوات الشعبيّة تنمي الشجاعة والحماسة لدى الأهلين فتزداد المقاومة والنضال حتى يصلا إلى الذروة التي تقرر جميع النتائج وهذا ما يحصل فعلا.....

ويرى كلاوز فيتز أن الصفات المميزة الشعبيّة والتنظيميّة لمجموعات المدنيين المسلحة تشكل سلاحاً للدفاع الاستراتيجي... إلا أنه يجب بشكل عام أن تكون أعمال العصابات الشعبيّة المسلحة تكتيكيًا انتقاميًا يستهدف قوات العدو بالإغارات المداهمة...والكمائن... ووخز العدو في كل موضع من جسمه حتى تشل قواه ويصبح غير قادر على القتال... وبالرغم من أهميّة الدفاع عن المواضع الحصينة إلا أنه من الأفضل التفرّق بعد كل التحام أو الإنسحاب من موضع، استعداداً لشن هجوم معاكس من موضع آخر وهذا أفضل بالطبع من حفر خندق دائم والإستعداد به لعمل جديد ... اليس هذا ما تفعله المقاومة؟. وبعد نصف قرن من الزمن اكد ماو تسي تونغ ما قاله كلاوز فيتز في كتابه «المشاكل الاستراتيجية لحرب العصابات». ترى هل قرأ المقاومون العراقيون كلاوز فيتز ام لا ؟ اعتقد ان قادتهم قد فعلوا ذلك، وان لم يفعلوا فان ما تقوم به المقاومة العراقية هو صورة طبق الاصل لما قاله هذا العسكري الالماني قبل اكثر من مئة عام. ثم الم تكن النتائج مطابقة لما وصل اليه الغزاة من وضع محرج وسيئ ينبئ بالهزيمة عاجلا ام اجلا؟ ثم اليست قوات الاحتلال هي المهزومة على ارض الواقع ؟ ان احترام عقل القارئ، يحتم علينا ألا نعيد الادلة والبراهين لاثبات هذه الحقيقة، خاصة وان بوش نفسه قد تخلى عن الحديث حول الانتصار، وتحول الى مجال البحث عن الحلول التي تجنبه الهزيمة المنكرة. ولجنة بيكر ـ هاملتون خير دليل على ذلك.

اذا كان ذلك صحيحا وهو صحيح قطعا، فلماذا لا نصدق بان امريكا قد حسمت امرها، وانها تسعى فعلا الى اجراء مفاوضات مع المقاومة، لترتيب خروجها من العراق بما يحفظ لها ماء الوجه، وفي هذه الحالة فانه ليس مهما من يبدأ بالمبادرة؟

من اهم واجبات الوطنيين العراقيين وعلى الرغم من ايمانهم المطلق بانتصار المقاومة العراقية، فانهم ملزمون بان يكونوا عيونا ساهرة لحماية مسيرة المقاومة من اي ضرر يقع عليها، وان يكونوا عونا لها، وان يضعوا بين يديها ما لديهم من خبرات وحقائق، لا ان يتزلفوا لها ويحرموا انتقادها او حتى توجيه النصائح المخلصة لها. وفي هذا الصدد يجب التذكير باهداف المحتل التي جاء بها، وفيما اذا كانت قابلة للتنازل، او التخلي عنها طواعية في هذا الظرف بالذات، الذي لا يزال فيه المحتل، يمتلك من الامكانات العسكرية والسياسية ما تساعده على الصمود فترة اضافية، او تجنبه الهزيمة على وجه السرعة. وهذا يندرج في اطار ضرورة فهمنا لتلك الاهداف، واذا كان المحتل مستعدا للقتال من اجلها، وتقديم اغلى التضحيات لتحقيقها، والحديث هنا يتصل تماما بمئات الادلة والبراهين التي تؤكد على ان الادارة الامريكية تعتبر هزيمتها في العراق هزيمة لمشروعها الامبراطوري الكوني، والذي يعد العراق فيه حجر الزاوية، ليس هذا فحسب، وانما سيصبح بامكان اي دولة مهما كانت صغيرة ان تقول لا لامريكا في اي شان يخصها، بعد ان تفقد هيبتها وسمعتها كاكبر قوة في التاريخ. وخلاصة القول فانه المبكر الدخول في مفاوضات مع المحتل، قبل ان يقتنع بان لا جدوى في بقاء قواته في العراق.

ولكن ليس هذا كل شيء، فهناك اعتبار اخر يجب وضعه بالحسبان، وهو ان القرار الامريكي لم يعد قرارا امريكيا خالصا، منذ الساعة التي دخل فيها بوش الصغير البيت الابيض. فالصهيونية العالمية وكيانها في فلسطين المحتلة اصبح لهما حصة الاسد في صناعة القرار الامريكي، وخاصة فيما يتعلق الامر بالعراق. ومعلوم مدى الحقد والكراهية الشديدة اللذين يضمرهما هؤلاء للعراق وشعب العراق. ولهذا فليس من الحكمة ان نستعجل النصر قبل اوانه، او تحقيق نصر مثلوم. فالدماء كانت غزيرة والتضحيات التي دفعها العراقيون جسيمة، والحكمة الى جانب السلاح امر في غاية الاهمية، ولا يساورنا ادنى شك بان المقاومة سائرة بثبات على طريق تحقيق النصر الاكيد. والتذكير بثقل المهمة واجب كل وطني عراقي، يتطلع الى اليوم الذي يرى فيه بلده محررا من رجس المحتلين.

* كاتب من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

**Head Office (London):** 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
**Tel:** 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email:* ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
**Cairo Office:** 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
**Tel/Fax:** (202) 3901523
**Morocco Office:** 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
**Tel/Fax:** (212 37) 770594
**Amman Office:** Al Sahafa St. Badad Business Complex.
**Tel/Fax:** (9626) 5066089
**Paris Office: Tel / Fax:** (331) 420 57364

**Al-Quds Al-Arabi**
daily Independent News Paper
**Published In London,